أزمة اليسار في كل مكان

د. إريك رولو
سفير سابق وكاتب فرنسي

مع استحالة مشاركتي إياكم هذا النهار، وهو ما كان سيسعدني ويشرفني، ومع رجائي بأن تقبلوا اعتذاري عن الغياب، أسمح لنفسي بأن أقدم ملخصا« لمداخلة كنت أنوي تقديمها.

موضوع اليسار شديد الحضور والإلحاح، ليس في العالم العربي وحده. فاليسار، بجميع مكوناته، يجتاز أزمة عميقة في أوروبا كذلك.

فرنسا، مثلا، تقودها حكومة هي الأكثر يمينية منذ تأسيس الجمهورية الخامسة، أي منذ نصف قرن. ونجاحها في الانتخابات إنما كان يشير إلى التحول الحاصل في الرأي العام. فالحزب الشيوعي الذي كان يمثل ربع الهيئة الناخبة في سنوات ما بعد الحرب هو اليوم في موقع هامشي مع نسبة تصل بالكاد إلى خمسة بالمئة. والحزب الإشتراكي الذي خسر السلطة منذ ثماني سنوات، مهدد بخسارة الجولة الرئاسية القادمة، رغم النجاح الذي حققه في الإنتخابات البلدية الأخيرة. فانقساماته، وعجزه عن اقتراح برنامج بديل عن برنامج اليمين حتى الآن، قد يؤديان في الواقع إلى خسارة جديدة.

وتبدو خسارة اليسار شديدة الوضوح على مستوى الاتحاد الأوروبي بمجموعه. سنة ٢٠٠٢ كانت الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية تحكم أكثر من نصف دول الاتحاد، أي خمسة عشر دولة، في حين لم يبق منها اليوم سوى خمسة غير مضمونة

الاستمرار. الليبرالية الجديدة التي غذاها تشكل الاتحاد تتوسع، وتزداد رسوخا».

عديدة هي أسباب أزمة اليسار الأوروبي، ولا تزال تحتاج إلى أن تتحدد بدقة. علما« أن كثيرا» من المحللين يعتمد مقولة أن انهيار الاتحاد السوفييتي بخّس فكرة الاشتراكية نفسها. لكن عجز الإشتراكية الديمقراطية، من جهة ثانية، عن تقديم حلول للمشكلات التي تولدها العولمة، يفسر بلا شك ما يصيبها من خيبات.

أما عن أسباب وأسس أزمة اليسار العربي، فإن كتابات كريم مروة الكثيرة توفر مادة توثيق جديرة باهتمام كل الذين يعز عليهم بناء الديمقراطية في البلدان العربية وتطورها. في هذا الخصوص، يبدو لي أن هناك كتابين لا غنى عنهما لفهم مقولات المؤلف:

الكتاب «في البحث عن المستقبل»، الذي صدر في العام الماضي يلقي الضوء على تطور فكر كريم مروة، الذي غادر موقعه القيادي في الحزب الشيوعي اللبناني ليتحول إلى كاتب متحرر من قيود التنظيم، فيحلل ماض تغيّر، ويستكشف، في غنى تجربته الخاصة، آفاق المستقبل. وذلك هو جوهر مؤلفه الجديد الصادر هذه السنة بعنوان «نحو نهضة جديدة لليسار في العالم العربي». ويبرهن هذا النص على أن التغيرات العميقة التي جرت في العالم على كل المستويات تستوجب بإلحاح مراجعة شاملة لبرامج اليسار واستراتيجياته وتكتيكاته. وتؤكد قراءة الكتاب أن مشروع التحديث الطموح هذا لا يمكن أن يتحقق إلا في إطار من الديمقراطية المتقدمة.

بديهي أن يكون استشراف المستقبل أكثر مشقة من تحليل الماضي، بخاصة وأننا نعيش مرحلة انتقال لا نعرف مساراتها وغاياتها. لا بد إذا« من أن نأمل بأن يتحلى مفكرون آخرون بالجرأة اللازمة لصياغة مقترحات قادرة على المساهمة في تجديد اليسار. وهنا تكمن أهمية مداولاتكم التي يؤسفني مجددا« ألاّ أكون مشاركا» فيها.